مجلة التراث العلمي العربي فصلية ، علمية ، محكمة العدد الأول – 2013م

الحياة الاسرية في العراق في العصر الاموي

أ.د.جاسم صكبان علي
قسم التاريخ/كلية التربية للبنات
جامعة بغداد

(خلاصة البحث)

رغم ان الرجال قوامون على النساء، فان هذا لا يعني ان الرجل كان مستبداً بأمور المرأة ،بل يشير الى استعداده على تحمل الكثير من اعبائها حباً وتقديراً واحتراماً ومراعاة لها كجنس لطيف رقيق ،يحتاج الى من يخدمه ولا يتمكن من تحمل المسؤوليات الصعبة ولذلك شبهت بالقارورة والبيضة لرقتها وشفافيتها ونعومتها .وشبهت ببيض النعام لنقاءه ورقة لونه .ورغم ذلك فقد برزت الكثيرات منهن في الحرب والسياسة والادب كما انصرفت اخريات للتعبد والزهد .

وحرصت العائلة على تربية أولادها تربية تضاهي التربية الحديثة،فقد ادركت اثر العلاقة الايجابية والسلبية بين الام والاب في صياغة شخصية الطفل وسلوكيتة.وغرست في نفس الطفل حب التضحية والاقدام والثقة بالنفس ونبذ الانانية وقد حرصت العائلة على الزواج المتكافئ الذي ينشأ عائلة متزنه لما لذلك من اثر على العلاقة مابين الاب والام وانعكاسها على الاطفال رجال المستقبل .

المقدمة

نجحت العائلة العراقية في اعداد جيل من المقاتلين الاشداء حقق ما لم يتمكن من تحقيقه اي جيل سابق او لاحق له ،اذ تمكن العرب بواسطة هذا الجيل من

تأسيس دولة مترامية الاطراف تمتد من حدود الصين شرقاً والمحيط الاطلسي غرباً. ومن جنوب فرنسا شمالاً الى الصحراء الغربية في افريقيا جنوبياً .وقد نجحت هذه الأسرة بجهود هذا الجيل في ان تضع الحجر الاساس للحضارة العربية الاسلامية ،التي ازدهرت فيما بعد.

وقد آن الاوان ان نعد ابنائنا على نفس اسلوب ذلك الاعداد ليتحمل اعباء اعادة المجد العربي ،وليأخذ العرب دورهم اللائق بهم في الجهد الحضاري العالمي.

عاشت العائلة العراقية (بشتى دياناتها وطوائفها)في علاقات جيدة وتشاركت في الاحزان والافراح .وان كانت العائلة اليهودية لم تحضى باحترام وتقدير كالذي حضيت به العائلة النصرانية لاسباب كثيرة.

اختار الله سبحانه وتعالى العرب لتبليغ رسالة الاسلام الى العالم اجمع. وقد لاقت هذه الرسالة مقاومة من بعض العرب والدول الاجنبية .وكان لابد من صد هذه المقاومة الأمر الذي تطلب وجود مقاتلين اشداء للدفاع عن هذه الرسالة وصد العدوان .فاستن الاسلام الجهاد وليؤدي دوره الفاعل والكامل كان لابد من وجود مجاهدين معدين جسمياً ونفسياً واجتماعياً وعلمياً. ونظراً للدور الرئيس والمهم الذي تقوم به الاسرة في هذا الاعداد ،اصبح من الضروري دراسة الحياة الاسرية لمعرفة الجهد المضني والعظيم الذي قامت به هذه الاسرة لتحقيق الهدف السامي .ولتفرع الموضوع وطول الفترة الزمنية فان البحث سيقتصر على دراسة الحياة الاسرية في العراق في العصر الاموي.

جاء في القرأن الكريم : "...واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ،ان الله بكل شيء عليم" [(1)]ولاشك في أن هذه الاية الكريمة تؤكد على وحدة الاسرة

وتوسيع قاعدتها وارتباطها بصلة الرحم ،رغم انشطارها الطبيعي بعد الزواج .وقد روى ابن حجر العسقلاني احاديثاً تؤكد وحدة الاسرة والاهتمام بصلة الرحم(2) .

لقد كان الرجل هو اللبنة الأصلية في بناء الاسرة وله المركز القيادي فيها وفي المجتمع .وتعود سيادة الرجل الى سداد رأيه (3) او لحلمه ؛فقد ساد الاحنف بن قيس لحلمه وحصين بن المنذر برأيه ومالك بن مسمع بمحبته في العامة وسويد بن منجوف بعطفة على ارامل قومه .وساد المهلب بن ابي صفره بجميع هذه الخصال (4) .وعندما سُئل الاحنف بن قيس كيف سدت قومك؟ قال:-"لو عاب قومي الماء ما شربته" (5) .وعندما قالت امرأه الحصين بن المنذر للحصين كيف سدت قومك وانت بخيل،وانت ذميم ؟ قال:-"لاني سديد الرأي شديد الاقدام" (6) مما يشير الى ان النسب والوراثة لا يكفيان لان يسود الرجل ،انما يجب ان تتوفر فية صفات مثل سداد الرأي والحلم والكرم والفروسية ،تلك الصفات التي لاتعرف المصلحة الشخصية او تهدف من وراء ذلك تحقيق مكاسب شخصية او مجد زائف .فهذا الاحنف بن قيس الذي كان من ارذل قومه كان حليماً جداً،ومن اخبار حلمه ان رجلاً وقف يسبه سباً ليغضبه والاحنف لا يكلمه،فلما رأه لا يكلمه اقبل الرجل يعض ابهامه ويقول:-"يا سوأتاه والله ما يمنعه من جوابي الا هواني عليه " (7) .وسبه رجل اخر .فامسك عنه الاحنف ،فاكثر الرجل الى ان اراد الاحنف القيام .فاقبل على الرجل فقال له:-"ياهذا ان غدائنا قد حضر فانهض بنا اليه ان شئت "(8).

والرجل هو عماد الاسرة وموفر احتياجاتها المختلفه ،وهو المشرف على ابنائه وسلوكيتهم ،والحافظ لشرف اسرته الى حد التضحية بالروح والنفس . (9) ولكنه يستشير زوجته وابنائه في القرارات التي يتخذها .ويتمتع الرجل المعروف بسداد الرأي والحلم بصلاحيات واسعه في عشيرته. ويتصرف بعض الاحيان دون ان ياخذ

موافقتهم المسبقة .فلما سأل الاخطل الغضبان بن القبعثرى ان يمد تغلب بمال لمساعدتها في دية ،اجابه الغضبان :"ان شئت اعطيتك الفين وان شئت اعطيتك درهمين"[10]ففضل الاخطل درهمين لان ذلك يعني ان كل البكريين في الكوفه يعطيه كل واحد منهم درهمين وكذلك البكريين في البصره ،وفي هذه الحالة يكثر النيل ، فجمع مالاً كثيراً وكثر له النيل من اهل الكوفه والبصره فاعان بذلك قبيلته على دفع الدية .لقد تصرف الاخطل دون ان يأخذ موافقة قبيلته .

ومن الطبيعي جداً ان يفرح الاباء لفرح أبنائهم ويحزنون كثيراً لموتهم وذلك لقوة صلة الرحم ووحدة الاسرة .وخير مثال على وحدة الأسرة وصلة الرحم هو حزن المهلب عند موت ابنه المغيرة فقد جزع حتى ظهر عليه جزعه ،فلامه بعض خاصته.فدعى يزيد ابنه فوجهه الى مرو وجعل يوصيه بما يعمل ودموعه تنحدر على لحيته[11] .

ومن الامور التي كان العربي يسعد ويتباهى بها هي كثرة الأولاد لانه ينال بهم مهابة الناس واحترامهم .فقد بلغ عدد اولاد المهلب 300 ولد مما جعل الاحنف بن قيس يشير على البصريين بالمهلب وامكانيته الكبيرة في محاربة الخوارج حيث قال : "...هو أقوى مني "[12] .

ولغرض المحافظة على الأبناء والأسرة وشرفهما ،فان العربي كان مستعداً ان يتنازل عن إبائه وكبريائه ،فقد حمل ابن الاشعث بريداً الى المهلب وسأله المهلب : "مثلك يا محمد ياتي بريداً ،اما وجد المصعب بريداً غيرك ؟ قال محمد اني والله ما انا ببريد احد،غير ان نساءنا وابنأنا وحرمنا غلبنا عليهم عبداننا وموالينا"[13].

وقد حرص الاب على بقاء الاسرة موحده بعد موته ،فقد اوصى المهلب اولاده بوصايا تفيدهم في حياتهم العامة والخاصة وذلك بحثهم على عدم الفرقة "...اذ دعا

بسهام فحزمت وقال : اترونكم كاسريها مجتمعةً ؟ قالوا:لا .قال افترونكم كاسريها متفرقة ؟ قالوا:نعم .قال فهكذا الجماعة .قال فاوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم ،فان صلة الرحم ...تثري المال وتكثر العدد .وانهاكم عن القطيعة فان القطيعة تعقب النار وتورث الذلة والقلة .فتحاموا وتواصلوا واجمعوا امركم ولاتختلفوا وتباروا تجتمع اموركم...(14).

وتحتل المرأة مكانة مرموقة ومحترمة في الاسرة والمجتمع وحضيت باحترام وتقدير الرجل لها .وللمسلمين في سيرة الرسول(ص) قدوة حسنة في هذا المضمار وقد وصلت المرأة في العراق في العصر الاموي مركزاً مرموقاً في المجتمع ولعبت دوراً مهماً في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .ونالت احترام وتقدير الرجل .وتعبيراً عن هذا الحب فقد وصفها باحسن الاوصاف والتشبيهات ،فقد شبهها بالشمس ،والقدر والغصن والكثيب ،والغزال،والبقرة الوحشية،والسحابة البيضاء،والدرة ،والبيضة (15) .وشبهها ببيض النعام لنقائه ورقة لونه (16) وشبة عينها بعين الظبية وانفها بحد السيف وفمها بالخاتم وشعرها بالعناقيد وعنقها بابريق فضه وساقها بالجمار(17).

وحرص الرجل على صيانة شرف المرأة والدفاع عنها .روى أن ابن اعثم الكوفي أنه لما سمع عبيد الله الجعفي ان رجلاً يقال له الغذاف يقطع الطريق مابين الانبار وهيت ويأخذ النساء الحسان ويكتف ازواجهن ويعتدي عليهن ،توجه نحوه وبارزه حتى قتله وخلص المجتمع منه (18) .

لقد تحدد المركز الاجتماعي للمرأة بسلوكها وطريقة معيشتها؛روى الاصفهاني أن رجلاً كوفياً يدعى عمار ،كان يشرب لحد الإدمان ،وقد تخلقت زوجتة باخلاقه فاحتقرها الناس ولم يحترموها رغم انها حاولت ان تغطي على ذلك بذهابها الى الحج(19) .

وتسمح الاسرة لابنتها باختيار زوجها.وكانت بعض النساء تبتعد عن من يمتهن الحرب والقتال لان ذلك يؤدي الى ابتعاده عنها وعن ابنائها ،فقد كان لأمية بن عبد الله بن خالد القسري والي خراسان جارية ذات جمال وقد مرت برجل من سعد وكان فارساً صنديداً فاعجبته فارسل من يسألها ويذكره لها .فسألت الرسول عن عمله فاجابها مقارعة الابطال .فقالت للرسول قل له : "انت اسد فاطلب لنفسك لبوة ،فلست من نسائك" [20]في حين مالت بعض النساء الى الزوج من الكسوب والضحوك[21] .

تخطب المرأة من أبيها او اخيها او عمها او احد اقاربها ، إذ يرسل الخاطب احداً من اهله او اقربائه للقيام بهذه المهمة .وقد يقوم الخاطب بهذه المهمة بنفسه،اذ تجلس المرأة ويدخل عليها الخطيب وبينهما حاجز او رواق،بعد موافقة اهلها ،ويجري بينهما الحديث ويستمع كل طرف لشروط الطرف الاخر . فمنهن من تؤكد لخطيبها على حبها وشغفها بالطعام وتشترط نوعية هذا الطعام ؛ ففي عهد زياد بن ابي سفيان في العراق خطب معبد بن خالد الجدلي امرأة من بني اسد وقد جلسا وبينهما رواق ،وجيء بجفنة كبيرة مليئة باللحم والثريد فاكلتها كلها والقت العظام وشربت مقداراً كبيراً من اللبن ثم قالت:"انا اسدة من بني اسد وعلي جلد اسد وهذا طعامي وشرابي فعلام ترى ..."[22] .

ويعرض الخطيب نفسه للخطيبة ويقدم لها معلومات عن نفسه وعن عائلته ومركزه الاجتماعي وطباعه وعاداته وقيمه ومثله ،وعن اصله ونسبه وحالته الاقتصاديه كالغنى والفقر ليتوضح موقفه امام المرأة .وقد فضلت النساء الخطيب الذي يتمتع بالجاه والنسب[23] .وهناك حالات رفض فيها الخاطب ؛فعندما خطب خالد بن صفوان ،من جلساء عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك،امرأة قدم نفسه قائلاً:"انا

خالد...وفي خصال سأبينها لك ...قالت وما هي ؟قال:ان الحر اذا دنت مني املتني ،واذا تباعدت عني اعلتني ولا سبيل الى درهمي وديناري .وتاتي علي ساعة من الملل لو ان رأسي في يدي نبذته .فقالت قد فهمنا مقالتك ووعينا ما ذكرت وفيك بحمد الله خصال لانرضاها لبنات ابليس " [24] .وقد حرص اهل التقوى والورع على ان يكون الخطيب الصالح هو الموسر في عقله ودينه[25].

وقد لجأت بعض العوانس الى الشعراء للتشبيب بهن بغية ترويج زواجهن لانهن سيشتهرن فيقبل عليهن العرسان ؛فقد جاء في كتاب الاغاني ان عينا ذي الرمة رمدتا فداوته كحالة بصرية ،فلما شفى من المرض عرض عليها اجر عملها ،فاعتذرت عن قبول المال وقالت : "عشر ابيات تشبب بي ليرغب الناس فيَ اذا سمعوا ان فيَ بقية للتشبيب"[26].ففعل ذلك بمربد البصرة .ومع ذلك فان معظم النسوه كن يمقتن التشبيب لان المتشبب بها تصبح مشهوره بين الناس وتصبح على كل لسان ،وتلك هي سمعة لايرغب فيها احد يحرص على سمعته الاجتماعية المقبولة .وقد تضطر العائلة المتشبب ببنتها الى مغادرة محل سكناها الى مدينة او ولاية اخرى .كما فعل والد امرأة من بني جمح والتي كان عمر بن ربيعه قد شبب بها ،فقد هجر الرجل مكة وجاء الى العراق .ولم تتزوج المرأة الا بعد وفاة والدها، وتزوجها الشاعر نفسه [27] وكان التشبيب سبباً في تأخر زواج بعض النساء امثال ام رباح الهمداني ة التي خطبها الشاعر ابن عبدل ،فلما رفضته قال فيها شعراً فابتعد عنها الخطاب فما تزوجت حتى اسنت[28]ويثير التشبيب بالنساء غضب أولياء أمورهن وقد يدفعهم الى الانتقام من الشعراء ؛فعندما شبب محمد بن عبد الله الثقفي بزينب بنت يوسف اخت الحجاج غضب الحجاج عليه كثيراً[29] .

وتلقى خطبة اثناء عقد الزواج .والسنة في هذه الخطبة : "ان يطيل الخاطب ويقصر المجيب " (30).وكان عمر بن الخطاب(رض) يقول"مايتصد عني كلام تتصدى عني خطبة النكاح"(31).لان الخطيب لا يجد بداً من تزكية الخاطب ،فلعله كره ان يمدحه بما ليس فيه فيكون قد قال زوراً وغَر القوم من صاحبه .وكان الحسن البصري يقول في خطبة النكاح "اما بعد فان الله جمع بهذا النكاح الارحام المتقطعة والانساب المتفرقة وجعل ذلك في سنه من دينه ومنهاج واضح من امره، وقد خطب اليكم فلان وعليه من الله نعمة"(32).

ويذكر في خطبة النكاح بعض الامور المتعلقة بالمهور والزواج وهي تختلف من خطيب لاخر(33) .ويشهد على عقد الزواج شهود ثم يعلن امام الناس (34) ويختلف المهر باختلاف الحالة الاقتصادية للزوج ،فهو مرتفع عند الطبقات الموسرة والأمراء والولاة ،فقد دفع مصعب بن الزبير صداق لعائشة بنت طلحه مائة الف دينار (35).وقد ارسل الاغنياء الى خطيباتهم اضافة الى الصداق،الاثاث والغلمان،كما فعل الحجاج حين خطب هند بنت عثمان،فقد بعث لها مائة الف درهم وعشرين تخت ثياب وثلاثين غلاماً مع كل واحد عشرة الاف درهم وثلاثين جارية مع كل واحدة تخت ثياب (36).

وكانت مهور الطبقات الفقيرة متواضعة ؛فقد زوج سعيد بن المسيب ابنته على صداق درهمين(37) .وكانت مهور الاسرة البدوية تعد او تقدر بعدد الحيوانات كالجمال مثلا ؛فقد دفع الفرزدق مائة من الابل مهراً الى حدراء ابرة زيق بن بسطام (38) .

وشجعت الدولة الاموية في عهد عمر بن عبد العزيز على الزواج ؛فقد كتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن وهو بالعراق "...ان انظر الى كل بكرٍ ليس له مال فشاء ان تزوجه فزوجه واصدق عليه..."(39) .وقد حضيت العائلة ذات البنات الكسد باهتمام عمر بن عبد الغزيز حيث فرض لامرأة جاءته من العراق عندها خمس بنات كسد (40)

وكتب الى والي الكوفه زيد بن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب(رض):" كتبت تذكر انك قد اجتمعت عندك اموال بعد اعطية الجند،فاعطِ منهم من كان عليه دين في غير فساد او تزوج فلم يقدر على نقدٍ [41] وعمم على ولاته"...من تزوج امرأة فلم يقدر ان يسوق اليها صداقاً فاعطوه من مال الله"[42].

والمعلومات عن حفلات الأعراس قليلة في الوقت الحاضر .وقد روى بن قتيبه وصفاً لاحدى هذه الحفلات على لسان اعرابي فقال ان اعرابياً كان يتردد على البصره وكان قد دخل على تجمع من الناس فوجد داخل البيت رجلاً متدلي الشعر وحوله ناس فسلم عليه بسلام الامراء معتقداً بانه امير لكنه اخبر فيما بعد ب أنه العريس .ثم ذكر الاعرابي انواع الطعام والشراب الذي قدم.ثم جاء المغنون يرقصون ويغنون .وقد أرسلت النساء الى هؤلاء المغنين ليتمتعن برقصهم وغنائهم. ثم قال الاعرابي "وكان هناك شاب قد خرج فجاء بخشبه عينها في صدرها فيها خويطات اربع فاستخرج من جنبها عوداً فوضعه على اذنه ثم زم الخيوط الظاهرة فلما احكما وعرك اذناها بمجسة في يده فنطقت ورب الكعبة واذا هي احسن قينة رأيتها قط .وغنى عليها " [43].فلما سأله عن هذه الالة اجاب انها البربط .

وكان التكافئ بين الخطيبين من مقومات الزواج الناجح ؛حيث كان الشعار "الحسيب كفيء الحسيب" والزوج الصالح أب بعد أب "[44] ولذا فان الاسرة العراقية حرصت على توفر هذه الشروط ورفضت طلب من لم يكن متكافئاً مع مركز ابنتهم الاجتماعي او مع نسبها ومكانتها بين العوائل ؛فقد رفض سعيد بن العاص الاموي القرشي ان يزوج ابنته من زياد بن ابيه امير العراق [45] لانه غير كفوء ليزوجه ابنته رغم جاهه وغناه. وقد عاب محمد بن عطارد على هند بنت أسماء بن خارجه لزواجها من عبيد الله بن زياد لنفس السبب[46] .

واذا كشفت الزوجة ان زوجها قد غشها في نسبه ومركزه فانها تتركه ،مثلما فعلت امرأة من ولد قيس بن عاصم التي تزوجها رجل يسمى زياد ،حيث قال الشاعر الحكم بن عبد شعراً كشف فيه عن عدم تكافئه مع زوجته ،فاجبره اهلها على طلاقها(47) .

وللنساء في العراق في العصر الاموي مجالسهن الخاصة التي تختلف باختلاف الطبقات وقابليات ومواهب ورغبات سيدة المجلس (48) .فمجالس نساء الامراء امثال مجالس عائشة بنت طلحة زوجة مصعب بن الزبير كانت تحضرها نساء قريش وكان عامراً بالريحان والفواكه والطيب .وكانت تحضر مغنياتها في هذا المجلس (49) وقد جالست بعض النساء الشعراء من وراء الحجاب ،بعد استئذان ازواجهن ،كما فعلت بنت لمحمد بن الاشعث الكندي مع عمر أبن ربيعه(50)وهند بنت اسماء بن خارجة زوجة الحجاج بن يوسف مع الشاعر جرير(51) .

لقد ظلت المرأة مخلصة لزوجها وفدته بالغالي والرخيص ؛فقد فدت زوجة الشاعر الكميت زوجها اذ دخلت السجن من اجل تحريره عندما سجنه خالد بن عبد الله القسري .وعندما علم خالد بذلك كتب الى الخليفة: "ان حرة كريمة است ابن عمها بنفسها ... فامر الخليفة هشام بتخلية سبيلها" (52) اما هند زوجة عبيد الله بن زياد فقد لبست قباء وتقلدت سيفاً وركبت فرساً وخرجت من البصرة الى الكوفة بدون دليل او مرافق لها .وعندما تزوجها الحجاج فضلت قصرها الذي بناه لها عبيد الله في البصرة على قصر الحجاج ،ولهذا السبب طلقها الحجاج (53) وكانت عمرة بنت النعمان بن بشير الانصاري قد ضربت مثلا اعلى في الشجاعة والاخلاص لزوجها.فقد رفضت ان تقول لمصعب بان زوجها المختار كذاب،بل قالت انه من عباد الله الصالحين فرفعها مصعب الى السجن وكتب فيها الى عبد الله بن الزبير

فكتب اليه:"...ان اخرجتها فاقتلها ،فاخرجها بين الحيرة والكوفة بعد العتمة فضربها ثلاث ضربات بالسيف ...فقالت يا ابتاه يا اهلاه،ياعشيرتاه ،فسمع بها بعض الانصار وهو ابان بن النعمان بن بشير فاتاه فلطمه..." [54]فقال عمر بن ابي ربيعة[55] :-

ان من اعظم الكبائر عندي	**قتل حسناء غادة عطبولِ**
قتلت باطلاً من غير ذنبٍ	**ان لله درها من قتيلِ**
كتب القتل والقتال علينا	**وعلى المحصنات جر الذيولِ**

وقد روت لنا المصادر الكثيرة عن غزالة وشجاعتها واقدامها وقوة شخصيتها وكيف كانت تقود كتيبة النساء وهن متقلدات السيوف وفي ايديهن الرماح [56] .وعن شجاعة بعض نساء الخوارج ما روي بان الحجاج اتى بامرأة من الخوارج ،فكلم الحجاج المرأة فاعرضت عنه[57] .

وبرزت من نساء العراق الكثيرات اللواتي طرقن باب العلم والمعرفة ؛فظهرت منهن الفصيحات والبليغات في المجتمع العراقي وقد كان شعر بعضهن سبب في العفو عمن اراد الخليفة قتلهم كما حصل عندما قبض الحجاج على احد معارضي عبد الملك ،اسلم بن عبد البكري، بأمر من عبد الملك واراد قتله ،فقد جاءت ابنته وقالت شعراً ابكى الحجاج ، فرجى الخليفة ان يعفو عنه فكان له ما اراد [58] .ومن بليغات العراق في العصر الاموي عكرشة بنت الاطرش بن رواحه .كانت قد قابلت معاوية بن ابي سفيان فاجادت في الكلام فاكرمها رغم انها كانت في صفوف الامام علي(ع) في صفين[59] وكذلك الحال بالنسبة الى الزرقاء بنت عدي فهي وان كانت مع الامام علي (ع) في صفين لكنها اعجبت معاوية بفصاحتها وجرأتها لقولها الحق له[60] .

وقدمت المرأة العراقية في هذا العصر الكثير من النصائح والحكم الى ابنائها. فقد نصحت احداهن ابنها الذي نوى على السفر فقالت له :"اياك والنمائم فانها تزرع الضغائن ولاتجعل نفسك عرضاً للرماة فان الهدف اذا رمي ينثلم ،ومثل لنفسك مثالاً فما استحسنته من غيرك فاعمل به وما كرهته منه فدعه واجتنبه .ومن كانت مودته بشره كان كالريح في تصرفها...اذا هززت فهز كريما فان الكريم يهتز لهزتك واياك واللئيم فانه صخرة لا ينفجر مائها ،واياك والغدر فانه اقبح ما تعومل به . وعليك بالوفاء ففيه النماء ،وكن بمالك جواداً وبدينك شحيحاً ،ومن اعطى السخاء والحلم فقد استجاد الخلَّة..."(61).

وكانت ليلى الاخيلية من أبرز الشاعرات في عهد الحجاج بن يوسف .ولم يكن الحجاج يظهر لندمائه منه البشاشة ولاسماحة في الخلق الا في يوم دخلت عليه ليلى الاخيلية(62) . وكانت قد دخلت على الحجاج يوماً وشكت له ضيق الحال وقسوة الزمان ،وقالت في ذلك قولاً بليغاً . فخيرها ان تنزل اي زوجة من زوجاته ، فاختارت هند بنت اسماء بن خارجة:"فصبت عليها حليها حتى اثقلتها لاختيارها اياها ودخولها عليها دون من سواها" (63)وقد حضرت ليلى الاخيليه بعض مجالس عبد الملك بن مروان وكانت في كلامها تهدر كما يهدر البعير(64) .

وقد انصرفت بعض نساء العراق الى التعبد ؛امثال ام حسان الكوفية التي كانت تحمل شعار :"ما احب ان ياتي علي وقت وانا متشاغلة فيه عن الله بغير الله " (65) . ومن البصريات المتعبدات حفصة بنت سيرين (66) .وقد برزت بعض النساء برواية الحديث النبوي الشريف امثال معاذة بنت عبد الله العدوية البصرية (67) .وصلة بنت اشييم(68) .

عرفت الاسرة العراقية بقوة صلة الرحم بين ابنائها .لان الابناء ينشئون باحضانها ويتشربون بحبها ويشملون بعطفها وحنانها .وقد عبرت الأم عن ذلك باصوات تناغي بها اولادها لدرجة انها كانت تفقد توازنها وتصبح كالمجنونة ؛فقد سمع الحجاج امرأة من وراء حائط وهي تناغي طفلاً فقال :"مجنونة او ام صبي"(69) .

وقد انجبت بعض الأسر ابناءً أذكياء جداً لدرجة انهم اصبحوا ضمن الحكماء واصحاب التجربة والعلم والمعرفة وان لم يبلغوا سن الرشد .وقد انف بعضهم ان يوصى به الاباعد بعد وفاة ابائهم ؛فعندما قال زياد بن ظبيان التيمي لابنه عبيد الله وكان لايزال صغيراً :"الا اوصي بك الامير زياد ؟ قال: لا .قال:–ولِمَ ،قال اذا لم تكن للحي الا وصية الميت فالحي هو الميت"(70).

وعند الرجال بعض الطرق لمعرفة مدى حب زوجاتهم لهم :"فان كانت المرأة مبغضة لزوجها ،فأية ذلك ان تكون عند قربه منها مرتدة النظر عنه كانما تنظر الى انسان من ورائه.وان كانت محبة له لا تقلع عن النظر اليه واذا نظر نظرت من ورائه الى شخص حتي يزول عنها "(71) .

اما علاقة الاسرة العراقية المسلمة بجاراتها الاسر العراقية النصرانية ،فالمعلومات قليلة عنها ،لقلة المصادر المتوفرة في الوقت الحاضر .واستناداً الى المصادر السريانية المتوفرة يمكن أن نقول بأن الأسرة النصرانية العراقية كانت قد حضيت باحترام وتقدير جارتها المسلمة ؛فقد تبادلا الزيارات والضيافة(72) .

وقد رضيت بعض القبائل المسلمة بالأخطل الشاعر النصراني حكم اً لها ليحل مشاكلها؛ فقد كانت بكر بن وائل :"اذا تشاجرت في شيء رضيت بالاخطل ،وكان يدخل المسجد فيقدمون علية (73).وقد وصف المسلمون العوائل النصرانية بالظرف

والكرم ،قال ابن شبرمه،قاضي يوسف بن عمر والي العراق لاهل البصرة: "لنا اخلاق ملوك المدائن وسخاء اهل السواد وظرف اهل الحيرة "[74].

واباح الاسلام الزواج من الذمية ،فتزوج قوم من الصحابة نساء من اهل الذمة . جاء في القرأن الكريم:"اليوم احل لكم ...والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم"[75] ولذا فقد تزوج المسلمون من النصرانيات .فعن جابر قال : "شهدت القادسية مع سعد فتزوجنا نساء اهل الكتاب ونحن لانجد كثير مسلمات ،فلما قفلنا ، فمنا من طلق ومنا من امسك " [76] .وتزوج الفرزدق من حدراء بنت زيق وهي نصرانية [76أ].وقد افتى زيد بن علي (ع) بزواج النصرانيات فكان يقول : "ليتزوج المسلم اليهودية والنصرانية ولا يتزوج المجوسية ولا المشركة"[77]

لقد تم زواج النصرانيات من المسلمين رغم معارضة الكنيسة انذاك ولذا فان الكنيسة اصدرت امراً سنة 57 هـ/ 676م جاء فيه :"من غير الملائم ان تتزوج النصرانيات بالوثنيين الخارجين عن مخافة الله ويجب عليهن ان يتجنبن السكن معهم"[78] .وهذا يشير الى ان العلاقة مابين العائلتين كانت قوية لدرجة ان النصرانية فشلت في منع المرأة النصرانية من الزواج من المسلم .

والظاهر ان اقبال المسلمين على الزواج من النصرانيات يعود الى كمال نظافتهن ولقدرتهن العالية في ادارة البيت وحسن اهتمامهن بجمالهن.وقد اشار الى ذلك عمر ابن الخطاب(رض) حين قال:"في نساء الاعاجم خلابة فان اقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم "[79] .

وقد اشتركت العوائل العراقية المسلمة مع جارتها النصرانية في المشاعر والعواطف في اوقات المصائب والنوائب والاحزان ؛اذ اشترك نصارى واسط في تشييع جنائز بعض المسلمين ؛ فعندما مات منصور بن زاذان تبع الجنازة المسلمون واليهود والنصارى [80]

.وقد بادلهم المسلمون نفس المشاعر اذ اشتركوا معهم في احزانهم ،فان مات ولد للنصراني او قريب له ،فان المسلمين كانوا يعزونه قائلين :"ان الله كتب الموت على خلقه فنسأل الله ان يجعله خير غائب ينتظر وانا لله وانا اليه راجعون ،عليك بالصبر فيما نزل بك .لانقص الله لك عدداً " [81] .وكان الحسن البصري من جملة المسلمين الذين عزوا النصارى فعندما مات احد النصارى من الذين يحضرون مجلس الحسن البصري ،عزا الحسن اخية بقولة :"اثابك الله على مصيبتك ثواب من اصيب بمثلها من اهل دينك وبارك لنا في الموت وجعله خير غائب ننتظره .عليك بالصبر فيما نزل بك من المصائب [82].وسار المسلمون في جنائز النصارى تعبيراً عن المشاركة في احزانهم ؛فعندما مات ابجر بن جابر العجلي وهو على النصراية شيع جنازته اشراف المسلمين العرب وقد سارت هذه الجنازة في سوق الكوفة [83] وانقذ المسلمون حياة بعض النصارى لفرط محبتهم لهم[84].

اما بقية العلاقات الشخصية فقد كانت على الإجمال ودية فالمصافحة بين المسلم والنصراني[85]والسلام ورده بين الاثنين كانت امور اً بديهية ومتعارفاً عليها [86] . وكان بعض المسلمين يخاطب صديقه النصراني بقوله يا أخي[87] رغم أن الاخوة بين المسلمين انذاك هي اخوة الدين الاسلامي .وهناك حالات فردية نادرة نظر فيها بعض المسلمين الى النصارى نظرة عدائية وذلك في الحالات التي يكون فيها النصارى قد تجاوزوا الحدود وتعالوا على المسلمين واضروا بهم، خاصة كبارهم الذين اشتغلوا موظفين في دولة الاسلام، او من اشتغل بالتجارة فاحتكرها والصيرفة فاستغلها او لإساءتهم للمسلمين واغراقهم في العناد والجدل. في حين ان المسلم يعتقد ان دينه خاتم الاديان وانه هو الدين الحق [88] .اضافة الى مغالات النصارى وترفعهم على المسلمين[89] .

لقد هاجمت الكنيسة العلاقات الحسنة بين الاسرتين وخاصة زواج النصرانية من المسلم ؛فقد اشار مجمع جيورجيس جاثليق المدائن المنعقد سنة 57هـ /676 م الى ان بعض العوائل النصرانية قد اصابها التصدع والتفكك اذ اخذت بعض النساء النصرانيات تختار زوجها دون علم او موافقة اهلها،وكان هذا الزواج يجري خارج الكنيسة ،اذ جاء في القانون رقم 13 والذي اصدره المجمع المذكور :"لايسمح لامرأة بالزواج دون موافقة والديها وبدون بركة الصليب والكاهن .ويجب ان تكون الخطبة امام الكاهن" (90).وان بعضهن تزوجن من غير النصارى كما جاء في القانون رقم 14(91) ،وقد خالف بعض النصارى شريعته وتزوج بزوجتين (92) وقد اشار الى ذلك القانون رقم 16 والذي اصدره المجمع نفسه اذ جاء فيه :"ان هؤلاء يدنسون انفسهم ويخالفون الشريعة النصرانية بالزواج من زوجتين" (93) . يبدو ان الزواج باكثر من زوجة كان بتاثير العوائل المسلمة حيث أن الإسلام اباح للمسلم الزواج بأكثر من زوجة واحدة .

لقد فضلت الاسرة العراقية المسلمة جارتها الاسرة النصرانية على جارتها اليهودية للاسباب الاتية :

1-كان اليهود جيران للعرب في يثرب وغيرها ،وعداوة الجيران كعداوة الاقارب في شدة التمكن وثبات الحقد (94) .ويعادي الانسان بطبيعته من يعرف ويبدي عيوبه و"على قدر الحب والقرب يكون البغض والبعد" (95) .وعندما صار المهاجرون جيراناً لليهود وقد كان الانصار متقدمي الجوار حسدهم اليهود على الاتحاد بعد التفرقة والمحبة بعد العداوة وعلى نعمة الدين والتواصل فمالئوا الاعداء وتجاوزوا على الطعن بالمسلمين وبذلوا جهدهم واموالهم للكيد بهم(96) .

2-كان النصارى لبعد ديارهم عن مبعث النبي (ص) ومهاجره لايتكلفون كيداً ولا يجمعون على حرب [97].فادى ذلك الى غلظ القلوب على اليهود ولينها على النصارى. ثم أن حماية الاحباش النصارى للمهاجرين حببت النصارى للمسلمين و" كلما لانت القلوب لقوم غلظت على أعدائهم وبقدر ما نقص من بغض النصارى زاد بغض اليهود ومن شأنها حب من اصطنع لها خيراً او جرى على يديه ،اراد الله بذلك ام لم يرده وبقصد كان او باتفاق "[98] .

3-انتشرت النصرانية بين العرب قبل الاسلام اكثر من اليهودية ،"فقد غلبت على ملوك العرب وقبائلها ..."[99] ولما ظهر الاسلام لم تكن اليهودية الا عند بعض ناس من اليمانية وقلة يسيرة من قبائل معدودة .

4-بينما رفض اليهود الاعتراف بنبؤة محمد(ص) اعترف به جماعة من النصارى بعد خيبر[100] .

الهوامش

1-الانفال /75 .

2-فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج10 (دار الفكر للطباعة والنشر).ص ص415،414 .

3-الجاحظ ،البيان والتبيين، ج2 (بيروت،1965)ص169 .

4-البيهقي ،المحاسن والمساوئ ،(بيروت،1960)ص128 .

5-ابن كثير،البداية والنهاية، ج8 ،(بيروت،1398هـ) ص367 .

6-الجاحظ،المصدر السابق ،ج2،ص169 .

7-المبرد،الكامل في الادب، ج3 (القاهره،لا.ت)،ص178 .

8-المصدر نفسه والجزء والصفحة .

9-ابن الاثير،المصدر السابق ،ج3 ،ص382 .

10-الاصفهاني،الاغاني ،ج8 (1986)ص324 .

11-الطبري ،تاريخ الطبري، ج6 (القاهره،1964) ص ص351،350 .

12-ابن قتيبة ،المعارف(القاهره،لا.ت)ص400 .

13-الطبري،المصدر السابق،ج6 ،ص98 .
14-المصدر نفسه،ج6 ،ص354 ،الجاحظ،المصدر السابق ،ج2،ص ص189.188 .
15-المبرد ،المصدر السابق،ج3 ،ص54 .
16-المصدر نفسه،ج3 ،ص52 .
17-المصدر نفسه،ج3 ،ص131 .
18-الفتوح ،ج5 ـ6 ،(بيروت،1986)،ص348 .
19-الاصفهاني ،المصدر السابق ،ج24 ،ص ص189.188,181 .
20-ابن عبد ربه ،العقد الفريد ،ج7 ،(دار الفكر)ص95 .
21-ابن فتيبة ،عيون الاخبار ،ج4 ،دار الكتب العلمية ،(بيروت،لا.ت) ص11 .
22-ابن عبد ربه ،المصدر السابق ،ج7 ،ص ص95.94 .
23-البلاذري،انساب الاشراف ،ج5،(القدس،1936) ص173 .
24-ابن قتيبة ،المصدر السابق،ج4،ص14 .
25-ابن عبد ربه،المصدر السابق،ج7 ،ص93 .
26-ج18 ،ص ص42.41 .
27-المصدر نفسه،ج1 ،ص 211 .
28-المصدر نفسه ،ج2 ،ص415 .
29-القيسي،نوري ،شعراء امويون ،(الموصل،1976)ص112 .
30الجاحظ،المصدر السابق،ج1 ،ص116 .
31-المصدر نفسه والجزء،ص117 .
32-المصدر نفسه ،ج2 ،ص100 .
33-ابن عبد ربه ،المصدر السابق ،ج4،ص205 .
34-الصدر نفسه والجزء والصفحة .
35-الاصفهاني ،المصدر السابق ،ج11 ،ص186 .
36-المصدر نفسه والجزء ،ص189 .
37-ابن سعد ،الطبقات الكبرى ،ج5 (بيروت ،1968)ص138 .
38-الاصفهاني ،المصدر السابق ،ج8 ،ص191 .
39-ابو عبيد الله القاسم بن سلام ،الاموال ،(القاهره،1968)ص ص358.357 .
40-ابن عبد الحكم ،سيرة عمر بن عبد العزيز،(بيروت،1967)ص170 .
41-المصدر نفسه ،ص68 .
42-ابن سعد ،المصدر السابق،ج5 ،ص374 .
43-المصدر السابق،ج3 ،ص ص 338.336 .

44-الجاحظ ،المصدر السابق ،ج2 ،ص77 .
45-ابن قتيبة،المصدر السابق ،ج4،ص ص17-16 .
46-ابن حجر ،المصدر السابق ،ج3 ،ص516 .
47-الاصفهاني،المصدر السابق،ج2 ،ص400 .
48-ابن عبد ربه ،المصدر السابق ،ج7 ،ص98 .
49-الاصفهاني،المصدر السابق،ج11 ، ص186 .
50-ديوان شعر عمر بن ابي ربيعه، تحقيق وشرح ابراهيم الاعرابي ، (بيروت،لا.ت) ص95 .
51-المسعودي،مروج الذهب ،ج3 ،(صيدا،1988)،ص160 .
52-الاصفهاني،المصدر السابق،ج17 ،ص ص 20-19 .
53-المصدر نفسه،ج20 ،ص383 .
54-الطبري،المصدر السابق ،ج6،ص112 .
55-المبرد،المصدر السابق،ج3 ،ص246 .
56-المصدر نفسه والجزء،ص238 ،الطبري،المصدر السابق،ج6،ص ص224، 275,273,271.
57-المبرد،المصدر السابق،ج3 ،ص 231 .
58-ابن الاثير ،المصدر السابق،ج4 ،ص132 .
59-ابن عبد ربه ،المصدر السابق،ج1 ،ص ص298-297 .
60-المصدر نفسه،ج1 ،ص294 .
61-الجاحظ،المصدر السابق ،ج4 ،ص ص73-72 .
62-المسعودي،مروج الذهب ،ج3 ،ص140 .
63-المصدر نفسه،ج3 ،ص170 .
64-الاصفهاني ،المصدر السابق ،ج11 ،ص ص243-242 .
65-ابن الجوزي ،صفة الصفوة ،(حيدر اباد الدكن،1356 هـ) ص ص116-115
66-ابن سعد، المصدر السابق،ج8 ،ص484 .
67-المصدر نفسه والجزء ،ص483 .
68-المصدر نفسه والجزء،ص355 .
69-الجاحظ،المصدر السابق،ج3 ،ص224 .
70-المصدر نفسه ،ج1 ،ص325 ،و ج2،ص112 .
71-المبرد،المصدر السابق ج3 ،ص44 .
72-الاصفهاني،المصدر السابق،ج9،ص120 (بيروت،1957)،الجمحي،طبقات فحول الشعراء(القاهره،1952)ص406.
73-الاصفهاني ،المصدر السابق،ج8 ،ص303 .
74-وكيع ،اخبار القضاة ،ج3 ،(القاهره،1950)ص110 .

75-المائدة/6 .
76-الطبري ،المصدر السابق،ج6 ،ص588 .
76أ-الاصفهاني، المصدر السابق ،ج9 ،ص336 .
77-مسند الامام زيد بن علي (بيروت،1966)ص310 .
Chabot , J.B.Synodicon orientale (Paris,1902) P.485.-78
79-الطبري ،المصدر السابق،ج3 ،ص588 .
80-بحشل ،تاريخ واسط ،(بغداد،1966) ص.90
81-ابو يوسف،الخراج،(القاهره،1352هـ) ص216 .
82-المصدر نفسه ،ص217 .
83-ابن قتيبة ،الاخبار الطوال،(طبعة لايدن) ص228 .
84-الصاوي ،عبد الله ،شرح ديوان الفرزدق ،مطبعة الصاوي،ص673 .
85-بحشل،المصدر السابق،ص124 .
86-ابو حيان التوحيدي ،الامتاع والموآنسه ،ج2(القاهره،1942) ص203 .
87-الجمحي،طبقات فحول الشعراء ،(القاهره،1952) ص422 .
88-جرونيباوم ،حضارة الاسلام،ترجمة عبد العزيز جاويد (مصر الجديدة،1956) ص55 .
89-بارتولد ،تاريخ الحضارة الاسلامية،ترجمة حمزه طاهره ،(القاهره،1952) ص.23
Chabot,op.,cit.,pp487—488 .-90
91-وانظر هامش رقم 78 ،. Chabot p488
92-الاصفهاني،المصدر السابق،ج8 ،ص279 .(طبعة بيروت)
Chabot,op.,cit.,p489 -93
94-الجاحظ،ثلاث رسائل (القاهره،1382هـ) ص13 .
95-المصدر نفسه .
96-ابن هشام ،السيرة النبوية ،ج2 ،تحقيق مصطفى السقا ،(القاهره،1936) ص.160
97-الجاحظ،المصدر السابق،ص14 .
98-المصدر نفسه والصفحة.
99-المصدر نفسه،ص15 .
100-وات ،مونتغمري ،محمد في المدينة ،ترجمة شعبان بركات (بيروت،لا.ت) ص483 .

المصادر والمراجع

أ/المصادر[1]

1-الاصفهاني ،ابو الفرج علي بن الحسن ،الاغاني ،ج8 (القاهرة،1986) .

2-ابن اعثم ،ابو محمد احمد ،الفتوح (بيروت1986) .
3-بحشل ،اسلم بن سهل ،تاريخ واسط (بغداد1966) .
4-البلاذري ،احمد بن يحيى ،انساب الاشراف ،ج5 (القدس1936) .
5-البيهقي ،ابراهيم بن محمد ،المحاسن والمساوئ (بيروت1960) .
6-الجاحظ ،ابو عثمان عمرو بن بحر 1)البيان والتبيين ،ج2 (بيروت1965)
2)ثلاث رسائل (القاهرة1382هـ) .
7-الجمحي ،محمد بن سلام ،طبقات فحول الشعراء (القاهرة1952) .
8-ابن الجوزي ،ابو الفرج عبد الرحمن ،صفة الصفوة (حيدر اباد الدكن 1356هـ)
9-ابن حجر،فتح الباري في شرح صحيح البخاري ،ج10 ،دار الفكر للطباعة والنشر .
10-ابو حيان التوحيدي،الامتاع والمؤانسة ،ج2 (القاهرة1942).
11-ابن سعد ،ابو عبد الله محمد ،الطبقات الكبرى ،ج5 ،(بيروت1968).
12-الطبري ،محمد بن جرير ،تاريخ الطبري،ج6 (القاهرة1964) .
13-ابن عبد الحكم ،عبد الرحمن بن عبد الله ،سيرة عمر بن عبد العزيز (بيروت1967).
14-ابن عبد ربه ،احمد بن محمد ،العقد الفريد ،ج7 ،دار الفكر،(بيروت،لات).
15-زيد بن علي ،مسند الامام زيد بن علي (بيروت1966) .
16-ابو عبيد القاسم بن سلام ،الاموال ،(القاهرة1968).
17-عمر بن ربيعة ،ديوان شعر عمر بن ربيعة ،تحقيق وشرح ابراهيم الاعرجي (بيروت،لات).
18-ابن قتيبة ،ابو مسلم بن عبد الله 1)عيون الاخبار،ج4 ،دار الكتب العلمية (بيروت،لات)
2)الاخبار الطوال (لايدن) .
19-ابن كثير ،اسماعيل بن عامر ،البداية والنهاية ،ج8 ،(بيروت1398 هـ) .
20-المبرد ،ابو العباس محمد بن يزيد ،الكامل في الادب ،تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ،ج3 (القاهرة،1977) .
21-المسعودي ،ابو الحسن علي بن الحسين ،مروج الذهب ومعادن الجوهر ،ج3 (صيدا1988) .
22-وكيع ،محمد بن خلف بن حيان ،اخبار القضاة ،ج3 (القاهرة1950) .
23-ابن هشام ،ابو محمد عبد الملك ،السيرة النبوية،ج2 ،تحقيق مصطفى السقا (القاهرة1936) .

ب/المراجع العربية والمترجمة

1-بارتولد ،ف.د ،تاريخ الحضارة الاسلامية ،ترجمة حمزة طاهر (القاهرة1952)
2-جرونيباوم ،ج ،حضارة الاسلام ،ترجمة عبد العزيز جاويد (مصر الجديدة1956) .
3-الصاوي،عبد الله ،شرح ديوان الفرزدق ،مطبعة الصاوي ،القاهرة .
4-القيسي ،نوري ،شعراء امويون ،(الموصل 1976) .
5-م . وات ،محمد في المدينة ،ترجمة شعبان بركات (بيروت،لات) .

جـ/المصادر الاجنبية

Chabot ,J.B Synodicon orientale (Paris,1902).

Family life in Iraq in the Umayyad period

Proff. Dr. Jassim Sagban Ali

Education college for women

Baghdad University

History Dept.

(**Abstract Search**)

Quran said "the women are under the control of men" this doesn't mean that the men were dictators in the affairs of women . But the men were ready to bear most of their burden or loads .

The women could not bear the difficult responsibilities. The men resemble her by long necked bottle and for her mild temper ,beside that they were similar with the egg of duck .

There were a lot of women well-known in war ,politics and literature. Other women behaved for warship and asceticism.

The family had desired to educate their children as our families doing now. The family know the influence of the relationship between mother and father on childhood. the Iraqi family educated the children how they could like the sacrifice , brave , trusty and dislike selfish .

Iraqi family was very desire for the equal marriage which will make equal family, that took its influence on the relationship between father and mother and their children.

The Iraqi family succeed to prepare generation of fighters who managed to achieve something that no previous generation could be achieve.